

## سورة الصلاق ﴿الآية: 12﴾

### أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف بعض دلائل قدرة الله عز وجل وإحاطة علمه.
- 2- أن أدرك أن ما يجري في هذا الكون كله بأمر الله.
- 3- أن أتقي الله تعالى سرا وعلانية وفي كل أحوالي.

### تمهيد

بعد أن بين القرآن الكريم مجموعة من الأحكام الشرعية ووجه المؤمنين أهل العقول إلى تقوى الله؛ حتى لا يحل بهم ما حل بمن سبقهم من الأمم التي طغت وتجبرت، جاءت هذه الآية لتؤكد قدرة الله تعالى على ذلك وإحاطة علمه بهم وبسائر أحوالهم..  
فما هي مظاهر قدرة الله وعلمه؟ وكيف يكون لهذين الصفتين أثر في سلوكي؟

### الآيات

قال تعالى: ﴿إِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْزِجُ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ كُلِّ شَيْءٍ فَيَذَرُوهَا وَاللَّهُ فَذَاهُ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [سورة الطلاق: 12]

الشرح:

مِثْلَهُ: في العدد أو في الخلق.

يَنْزِلُ الْأَمْرُ: الأمر هو الوحي، أو أحكام الله وتقديره لخلقه.

استخلاص مضامين الآية:

– ما هي الصفات الإلهية التي تثبت بها الآيات؟

التفسير

في ختام هذه السورة يخبرنا الحق سبحانه ببعض مظاهر عظمته، ويذكرنا ببعض صفاته الدالة على كمال قدرته وإحاطة علمه فيقول تعالى: ﴿إِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُ﴾ أي: الله وحده هو الذي خلقهن لا غيره، لما تقرر في علوم اللغة من أن تعريف الجزئين يفيد الحصر، قال الطبري: «لا ما يعبد المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خلق شيء» [تفسير الطبري: 77/23].

وهذا يدل على وحدانيته سبحانه وتعالى وقدرته التي تتعلق بكل الممكنات إيجاباً وإعداماً.

ولا خلاف أن السموات سبع، بدليل نصوص القرآن والسنة، ومن ذلك: ما جاء في أخبار قصة الإسراء.

وأما الأرض فاختلف فيها، فقليل: إنها سبع أرضين؛ لظاهر هذه الآية، ولقوله ﷺ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طُوقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» وقوله ﷺ: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ» [صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب اثم من ظلم شيئاً من الأرض] وقيل: إنما هي واحدة.

فقلوه: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ على القول الأول يعني به المماثلة في العدد، وعلى القول الثاني: يعني به المماثلة في عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك، والأول أرجح.

وقد وردت أقوال كثيرة عن المفسرين في المراد بالأرضين السبع، حيث أشار فخر الدين الرازي إلى أن بعضها يأباه العقل، وأنه يرى أن المراد بالأرضين السبع طبقات الأرض، أو أقاليم الأرض المختلفة التي تفصل بينها البحار والمحيطات، ثم قال: «فهذه هي الوجوه التي لا يأبأها العقل، وما عداها من الوجوه المنقولة عن أهل التفسير فذلك من جملة ما يأبأها العقل» [مفاتيح الغيب: 566/30].

قال الطاهر بن عاشور: «وجمهور المفسرين جعلوا المماثلة في عدد السبع وقالوا: إن الأرض سبع طبقات، فمنهم من قال: هي سبع طبقات منبسطة تفرق بينها البحار. وهذا مروي عن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، ومنهم من قال هي سبع طباق بعضها فوق بعض وهو قول الجمهور. وهذا يقرب من قول علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا)، من إثبات طبقات أرضية لكنها لا تصل إلى سبع طبقات». [التحرير والتنوير: 340/28].

ثم قال تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ إِلَاٰهٌ مِّنْ بَيْنَهُمْ﴾ يحتتمل أن يريد بالأمر الوحي، أو أحكام الله وتقديره لخلقه. قال البيضاوي: «أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهم وينفذ حكمه فيهم». [تفسير البيضاوي: 223/5].

وقوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوْا أَنَّ اللّٰهَ عَلٰمُ كُلِّ شَيْءٍ فَدِيْرُ وَاَنَّ اللّٰهَ فَدَاٰهٖ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ قيل: إنه تعليل لخلق السموات والأرض، وقيل: إنه تعليل لتنزل الأمر بينهم، ويحتتمل أن يكون تعليلاً لهما معاً، قال البيضاوي: «علة لخلق أو ليتنزل، أو مضمرة يعمهما؛ فإن كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه». [تفسير البيضاوي: 223/5].

قال الإمام الرازي رحمه الله: «لا يمكن أن يكون خالقاً للأرض وما فيها، وللسموات وما فيها من العجائب والغرائب، إلا إذا كان عالماً بها، محيطاً بجزئياتها وکلياتها». [مفاتيح الغيب: 383/2].

يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

- عظمة قدرة الله عز وجل، وأنها تتعلق بكل الممكنات إيجاداً وإعداماً، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
- سعة علم الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علماً، فهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء.
- أن على المكلف أن يستحضر قدرة الله على محاسبته ومجازاته، وأنه مطلع على كل أقواله وأفعاله؛ حتى يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، وبذلك يحقق مقام الإحسان في العبودية.

## ● التقويم

- 1- ما هي أقوال المفسرين في عدد السموات والأرض؟
- 2- ما معنى قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُمْ﴾؟
- 3- ما الغاية من التذكير بخلق السموات والأرض؟

## ● الاستثمار

أكتب موضوعاً مركزاً يتضمن أهم الأحكام الشرعية المتعلقة بالطلاق والرجعة والعدة والرضاع الواردة في سورة الطلاق، والحكم المستخلصة منها، مستثمراً ما اكتسبته في المواد الأخرى.